تعريف ونقد

نحو القرآن

للدكتور أحمد عبد الستار الجوارى

تعريف ونقد الأستاذ على النجدى ناصف

كتاب ألفه الأستاذ الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى ، ونشره المجمع العلمى العراقى فيما ينشر من مطبوعات . وأكبر الظن أن كلمة « نحو » فى عنوان الكتاب معناها جهة ، وأن السيد المؤلف أراد بالاسم المختار أن يدعو إلى الاتجاه نحو القرآن فى دراسة علم النحو.

وبعيد أن يكون مراده أن الكتاب يتعاطى بالدراسة والبحث نحو القرآن ، لأن هذا يعنى أنه قد اتخذ القرآن مصدرا لدراسة جديدة تتبع فيها مسائل النحو كما تتمثل فى القرآن ، وإلا كان اسم الكتاب على شىء من الخلاف مع شكله ومضمونه ، فشكله أصغر حجما وأقل صفحات من أن يحيط بالنحو كله ، ومضمونه مجرد نماذج متفرقة من الملاحظات على بعض قضايا النحو ، يعرضها الأستاذ المؤلف على نور من البيان القرآنى الرفيع.

وأيا ما يكن معنى المؤلف من عنوان كتابه ، وأيا ما يكن بين العنوان والكتاب من وفاق أو خلاف ، فالذى لا خلاف عليه أن الكتاب يشهد لصاحبه باجتهاد الرأى ، وحرية الفكر ، وحب العربية والغيرة عليها ، والرغبة فى تقويم نحوها ، واستنقاذه مما بدا له أنه صناعة بغيضة ، وتكلف مرذول .

والكتاب يمقت التأويل والتقدير ، ويضيق بهما ، ويوشك أن يدير القول كله عليهما . ولا أدرى فيم مقتهما والضيق بهما ، وهما أمران لا غنى عنهما فى كثير من أساليب العربية ؟ فالكلام منه محكم قاطع الدلالة على معناه ، وآخر متشابه يمكن أن يفهم عنه غير وجه من المعانى ، فيحتاج القارئ أو السامع إلى تبيّن المعنى المراد به على التعيين سؤالا عنه ، أو نظرا فيه ،

واستخراجا لمستكنه، وترجيحا لوجه على وجه، استئناسا بالمقام وقرائن الأحوال .

وقد أنزل الله القرآن على هذا السنن، وذكر التأويل فيه وأسنده إليه – جل وعلا – وجعل الراسخين فى العلم أهلا له، وشركاء فيه، على أحد وجهي تفسير قوله تعالى : (هو الذى أنزل عليك الكتابَ مِنْه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أمُّ الكِتَابِ وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأمَّا الذين فى قُلُوبهم زَيْغٌ فيَتَّبِعون ماتَشابَهَ مِنه ابْتغاء الفِتْنَةِ وابتغاء تأْويلهِ وما يَعْلَم تاويلَه إلا اللهُ والراسخُون فى العِلْم يَقُولون آمَنّا به كُلٌّ مِن عندِ رَبّنا)[1]

« وكان التمرس بالتأويل والاقتدار عليه من المطالب العزيزة، والسمات الشريفة، سألها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لابن عباس، فقال : « اللهم فقه في الدين، وعلمه التأويل »[2] واقتران الفقه فى الدين بعلم التأويل يوحى بأنهما أمران لا يفترقان . . . .

وقد أخذ الرسول – صلوات الله عليه – بالتأويل حين قال : « من حوسب عُذب » ، فقد سألت عائشة حين سمعت الحديث فقالت : : أوليس الله يقول (فأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كتابَهُ بيمينه فسوف يُحاسَب حسابا يسيرا ؟) فقال عليه السلام : ذاك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك »[3] فأول الرسول الحساب فى الآية بالعرض، وفى الحديث بمناقشة الحساب. وإذا أمكن أن يستغنى عن التأويل فى لغة ما فلا غنى عنه فى العربية، لأنها لغة قوم عرفوا بصفاء القريحة وثقوب الذهن، تكفيهم الإشارة الدالة، والإيماءة الموحية فى كثير من المواطن، ولذا أكثر والحذف ونوعوه، وامتدحوا الأخذ به والفهم عنه[4] .

والتأويل فى أصل معناه الإرجاع، ومنه قولهم فى الدعاء لمن فقد شيئا : أول الله عليك ضالتك، أى أرجعها، ومنه كان تأويل الكلام وتأويل الرؤيا

---

(١) سورة آل عمران : ٧

(٢) البداية والنهاية ٨ : ٢٩٦ ، ٢٩٧

(٣) فتح البارى : ١ ١٥٩ ، والآية فى سورة الانشقاق : ٧ ، ٨

(٤) من قضايا اللغة النحو : ٨٥

أى تفسيرهما ، وبيان ماينطويان عليه من غموض ، ليرجع كلاهما إلى أصل المعنى المراد فالتأويل والتقدير إذا ليساتقولا ولاافتعالا ،ولكنهمانظروتوضيح وهدى فيما يحتمل أن يضل الفهم فيه . والنحويون إذ يذكرون المحذوف ، أو يظهرون المضمر إنما يرجعون فيه إلى اللغة ، يستلهمونها ، ويأخذون منها للنظائر والأشباه ، ثم هم حين يقدرونه لايقولون بذكره فى الأسلوب وإدخاله فى تأليفه .

على أن العرب كانت تعرف التقدير وتلحظ معنى المحذوف فى فهم المراد ، وهذا سيبويه يقول بعدأن أورد ضروبا من الحذف فى الكلام : « وهذه حجج سُمعت من العرب وممن يوثق به ، يزعم أنه سمعها من العرب . من ذلك قول العرب فى مثل من أمثالهم: اللهم : ضبعا وذئبا إذا كان يدعون بذلك على غنم رجل ، وإذاسألتهم مايعنون ؟ قالوا : اللهم اجمع أو اجعل فيها ضبعا وذئبا ، وكلهم يفسر ماينوى ، وإنما سهل تفسيره عندهم ، لأن المضمر قداستعمل فى هذاالموضوع عندهم بإظهار »[1]

ولاأدرى لماذا يحرم على النحاة أن يتنالوا أساليب الكلام عند الحاجة بالبحث والتحليل ، والاستعانة بالمذكور على فهم المحذوف ، ثم يباح للناقد الأدبى أن يقول عن النص مالم يقل ، ويعزو إليه ضروبا من الدلالات ، يسميها حينا الطائف وإشارات ، وحينا رموزا وإيحاءات ، لاتعدو أن تكون رؤًى له ، وخواطر من عنده ؟

وفى القرآن الكريم آيات شتى لايفهمها القارئ أو السامع على وجهها إذا هو قنع منها بالنظر فى ظاهرها ، ولم يحاول النفاذ إلى غورها ، ليطالع ماهناك من حذف فيأتى به ، ويقدره فى التفسير والتأويل

من ذلك قول الله تعالى : (وآتينا ثمود الناقة مُبْصِرةً)[2] فظاهر الاية ، والمذكور من كلماتها يشيران إلى أن

---

(١) الكتاب ١ : ١٢٩

(٢) سورة الإسراء : ٥٩

« مبصرة » وصف للناقة لفظا ومعنى ، وإذا يكون المراد أن الناقة التى آتاها الله ثمود لم تكن عمياء ، وهى على هذه الصفة لاتعد آية من آيات الله للأنبياء ، فما هى معها إلا ناقة من عموم النوق التى برئت من العمى. وقد قال الله تعالى فى موطن آخر :(هَذِهِ ناقةُ اللهِ لكم آيةً)[1] وقال فى موطن ثالث :(وجعلنا الليلَ والنهارَ آيتيَنْ ، فمحَوْنا آيةَ الليل وجعلْنا آية النهار مُبْصِرةً)[2] إذا لاتفهم الآية حق الفهم إلا بتقدير كلمة آية قبل مبصرة ، ليكون تأويل الآية : وآتينا ثمود الناقة آية مبصرة .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى :(السماء مُنفَطرٌ به)[3] ، وظاهر الآية يجعل السماء خلقا مذكرا ، وهى فى سائر الآيات التى ذكرت فيها وفى العربية عامة خلق مؤنث . فهل نقف عند ظاهر الآية لانعدوه بحثا وتنقيبا ، ونحكم بأن السماء خلق يأتى مؤنثا كثيرا ، وأتى مذكرا مرة فى القرآن ، أو أن نرجع إلى الآيات الأُخر التى ذكرت السماء فيها لعلنا واجدون هناك نورا يهدى إلى الحق ، ويكشف عن سرمن أسرار البيان القرآنى الرفيع ؟

إن المقرر تجربة وأثرا أن القرآن كل متماسك: يفسر بعضه بعضا ، ويكمل بعضه بعضا ؛ فالخير إذا أن نجشم أنفسنا طلب الآيات الأُخرالتى للسماء فيها أو صاف مميزة وصفها الله بها شاهدا على القدرة وإحكام التكوين. قال تعالى : (أأنتم أشدُّ خَلْقًا أم السماءُ ،بَنَاها)[4] ،وقال:(والسماءِ وما بناها)[5] وقال : (أفَلَمْ يَنْظرُوا إلى السّماء فوقَهم كيف بَنَيناها)[6] وقال : (وَبَنَيْنَا فوقكم سبْعًا شِدَادًا)[7] ، فالله — جلت قدرته يجعل السماء مفردة والسموات جملة بناء محكما لافطور فيه ، متماسكا ينجذب بعضه إلى بعض ، تبارك الله أحسن الخالقين .

---

(١) سورة الأعراف : ٧٣
(٢) سورة الإسراء : ١٢
(٣) سورة المزمل : ١٨
(٤) سورة النازعات : ٢٧
(٥) سورة الشمس : ٥
(٦) سورة ق : ٦
(٧) سورة النبأ : ١٢

وآية (السَّمَاءُ مُنْفَطِر بِهِ) تصف حدثا من أحداث يوم القيامة، فهو يوم تشيب فيه الولدان، وينفطر بناء السماء المحكم الوثيق. وكأن المعنى حينئذ — والله أعلم — : وبناء السماء منفطر فى هذا اليوم، وإذا لاتخالف بين الموصوف والصفة أو الخبر والمبتدأ، كما لايخفى.

وآيات أخرى على شبه من هاتين الآيتين، أذكرها ولا أعلق عليها آية فآية، فمفتاحها كلها واحد، وهو ملاحظة فعل متبادر يلائم معناها ويجليه.

قال تعالى: (كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا[1]) وقال: (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا[2]). وقال: «لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)[3].

(فملّةَ) فى الآية الأولى ينصبها فعل محذوف، هو الذى يوجه إعرابها، ويدل على معنى الآية، وتقديره (نتبع) وكأن معنى (كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى): اتبعوا ملة موسى أو عيسى، والجواب الذى تجاب به هذه الدعوة يجب أن يكون: بل نتبع...

ونخلص من هنا للنظر فى القضايا التى أثارها «نحو القرآن»، والأمثلة التى أقامها شواهد لتلك القضايا:

يرى الكتاب أن من العبث التأويل الذى أول به قوله تعالى: (وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا)[4]، وقوله: (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ)[5]، ولكنه لم يبين لنا هذا العبث: ماهو؟، ولا لماذا عدّه عبثا لا حكمة له؟.

والمعروف من صنيع النحاة للآية الأولى أنهم نظروا فيها كما نظروا فى غيرها من الآيات التى عرضوا لها بالبحث لكن سبيل الفهم تفرقت بهم: فمنهم من فهمها على معنى: مالنا لانتوكل على

---

(١) سورة البقرة : ١٣٥

(٢) سورة الأنعام : ١٦١

(٣) سورة الحجر : ٨٨

(٤) سورة إبراهيم : ١٢

(٥) سورة النساء : ٨٨

الله ؟ ، إنكارا لعدولهم عن الأخذ بالتوكل ، ووجد أن العبارة مفهومة المعنى بغير (أن) ، فقضى بأنها زائدة ، وأنها مع ذلك عاملة للنصب فى الفعل بعدها .

وفهمها آخرون على معنى : أىّ نفع ، أو داع لنا إلى أن نترك التوكل على الله ، نفيا لعدم التوكل أن يكون فيه نفع أوله داع ، فقضوا بأن (أن) ليست زائدة ، وأنها لذلك ناصبة للفعل . فهل هذا البحث واختلاف الفهم فى معنى الآية هما هذا العبث؟ وإذاماذا كان عليهم أن يعملوا غير ما عملوا ؟ وما حيلتهم فى اتقاء الخلاف فى الرأى إذا كان أمارة من آمارات الرأى الحر ، والتفكير المستقل ؟

أما الآية الثانية فقد عاد الكتاب إليها فى ص : ٩٤ ، وهناك نعى على النحاة تأويلها ، ونقل قول الفراء فيها ، وقول محقق كتابه « معانى القرآن » لتوضيح المراد . وتأويل الآية على ما يقوله الفراء ومحققا كتابه هو : ماذا حدث لكم فى الحكم على المنافقين الذين تعنيهم الآية ، فاختلفتم فيهم فئتين ؟

وهو كلام قويم لاعوج فيه ، يؤدى المعنى أداء بينا ، وإن كان لايدانى الآية فى براعة النظم ، ومثله كمثل نثر الشعر إذ يلتزم صاحبه الأصل ، ويتحرى الدقة فى التعبير عنه ، فهو حينئذ باسترساله ، وتجرده من إيقاع النغم لا يبلغ مبلغ الشعر من البلاغة والتأثير ، ولاسيما أن القارئ يقرؤه ، وهو مازال مأخوذا بحلاوة الموسيقا : وتساوق الأنغام .

وينكر الكتاب فى فصل المبتدإ والخبر تقدير مبتدإ فى آيات ، منها : (وإنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ [1] » . وهذه الآية تدعو مع آيات قبلها إلى كتابة الدين عند المداينة ؛ لضمان أدائه فى موعده ، فإن لم يوجد ثمة كاتب فالضامن رهن يقدمه المدين . والقارئ أو السامع إذ يصل إلى (فرهان) لايملك أن يرد ذهنه عن إدراك المحذوف ، وأنه الضمان الذى يحل محل الكتاب

(١) سورة البقرة : ٢٨٣

ويغنى عنه ، لأنه المحور الذى يدور عليه معنى الآيات .

ثم هو قد عهد ذكر المبتدأ فى آيات أُخر تشبه هذه الآية فى نظم الأسلوب ، مثل : (وإنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُم) [1] ، ومثل : (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ) [2] . ومن شأن الشبيه أن يذكّر بشبيهه ، فذكر المحذوف لايعدو أن يكون إظهارا لما فى ذهن القارئ أو السامع .

ومنها آية : (وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ) [3] ، وهى آية تصف حال قوم كانوا إذا أمرهم الرسول يقولون : (طاعة) فإذا انصرفوا بيّت طائفة منهم غير الذى تقول . فالمبتدأ مفهوم من المقام ، وحذفه لايذهب به من الذهن أو يلبسه عليه. والنحويون إذ يقولون : إن التقدير : أمرك طاعة لايقولونه من هواء ، وهم لا يستوحون فيه المقام وكفى ، ولكنهم أيضا يرددون ما تقوله العرب حين تصرح به ، كما فى قول عمر بن أبى ربيعة :

فقالت : على اسم الله أمرك طاعة
وإن كنت قد كُلفت ما لم أعود [4]

ومنها آية : (فَآمنوا بِاللهِ ورسلهِ وَلاتقُولُوا ثَلاثَةٌ) [5] . والآية تنهى أهل الكتاب أن يغلوا فى دينهم ، ويقولوا على الله غير الحق ، فيشركوا به غيره ، ويجعلوا الآلهة ثلاثة . فالمبتدأ – وهو الآلهة – مفهوم من المقام ، أيضا لا يعزب علمه عن السامع أو القارئ .

ثم إن العرب تعمل القول فى الجمل وما فى معناها ، ولاتعمله فى غير ذلك . فإذا لم يقدر مبتدأ فى الآية فهل يكون لفظ (ثلاثة) هو وحده مقول القول ؟ ولماذا لم ينصب حينئذ ؟ ويمضى الكتاب فيذكر ماشاء من الآيات التى تشبه تلك التى تحدثنا عنها .

---

(١) سورة البقرة : ٢٧١
(٢) سورة النساء : ٩٣
(٣) سورة النساء : ٧
(٤) ديوان الشاعر : ١٥٤
(٥) سورة النساء : ١٧١

ثم يقول الكتاب عن الأخذ فى التقدير بقاعدة أن الكلام لابد أن يتألف من ركنين : « قاعدة تقوم على المنطق ، ولا تعبأ بالأصل العلمى الذى لايجوّز له أن يفترض فى مادة البحث مهما كانت ما ليس موجودا » .

ويعنينا مما تنطوى عليه هذه العبارة أن نقرر أن النحويين – كما يعلم الناس– لايفترضون التقديرات افتراضا ، ولكنهم يأتون بها نقلا عن أساليب مشابهة لاتقدير فيها ، أو يستنبطونها استنباطا من فحوى الكلام ، معاونة على الفهم ، وإرشادا إلى الصواب كما سبق .

ويذكر فى فصل الفعل آية : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١) ، ثم ينقل قول الزمخشرى فى إعرابها : « بربك فى موضع الرفع على أنه فاعل كفى ، وأنه على كل شئ شهيد بدل منه ، تقديره : أو لم يكفهم أن ربك على كل شىء شهيد » . ثم يعقب على ذلك ، فيقول : « وأنت ترى البون البعيد بين هذه العبارة والنص القرآنى ، حيث يتجه الإسناد إلى (بربك) فيه ، ويتجه فى عبارة الزمخشرى إلى مايتعلق به »

وظاهر أن إعراب الزمخشرى مطابق لقول نحو القرآن : « إن الإسناد فى الآية يتجه إلى (ربك) » ، وأما قوله تقديره « أو لم يكفهم الخ » . فليس عدولا عن توجيه الإسناد وجهته ، ولكنه بيان لما يدل البدل عليه فى الأساليب العربية ، وتوضيح لموقع (أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) من الآية ، ولصلتها بما قبلها ، فالمقرر أن البدل يذكر على نية تكرار العامل ، بدليل قوله تعالى : ﴿ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾ (٢)

ويذكر أن الفعل قد وقع موقع الفاعل فى آية : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا ٱلْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ ﴾ (٣) وهو بموقع الفاعل حقا ، ولكنه ليس به كما يفهم من كلام الكتاب ، ولوقلنا : إنه يمكن أن يستعمل الفعل كما

---

(١) سورة فصلت : ٥٣
(٢) سورة المائدة : ١١٤
(٣) سورة يوسف : ٣٥

يستعمل الاسم . لا يمنعه من ذلك دلالته على الزمن لكان لفظ (ليسجُنُنَّه) فاعل (بدا) ، وهذا غير الواقع . ولو أن الذين بدالهم أن يسجنوا يوسف سئلوا عن هذا الذى بدالهم فيه لقالوا : السجن ، ولم يقولوا : ليسجنن .

والسجن هو الذى جعله الزمخشرى فى إعراب الآية مفسرا للفاعل الذى قدره : ببداء ، وليس ثمة خلاف بين المفسر والمفسر ، كما يقول الكتاب ، فالعرب تقول : بد لى فى هذا الأمر بَدَاء : أى ظهر لى فيه رأى ، فالبداء الملحوظ فى الآية معناه الرأى ، وهو كلمة ذات عموم ، لكن يخصصها السجن المفهوم من (ليسجننه) . فوضح أنه لاخلاف بين المفسر والمفسر كما يقول الكتاب ، ولكن الذى بينهما أن فى الأول عموما وفى الآخر خصوصا يحد من هذا العموم .

ويرى الكتاب أن الفعل يذكر فاعلا للأفعال الناسخة حين لايذكر فى الكلام خبر لها ، فالفعل (يزيغ) فى قوله تعالى : (مِن بَعدِ ماكادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ منهم (١)) فاعل (كاد) ، ومثله بقية الأفعال التى ذكرها الكتاب فى آيات أُخرى .

ومعلوم أن كاد معناها قرب ، وإذا يكون معنى الآية : قرب يزيغ قلوب فريق منهم . فالفعل (يزيغ) هو الذى فعل القرب ، ولا أدرى كيف يفعل الفعل الفعل ، وأين هذا من جعل اسم كاد ضمير الشأن . وجملة (يَزِيغُ قُلُوب فَرِيق منهم خبرا لها ؟) أليس ضمير الشأن حقيقة لغوية ، وليس له مرجع فى الكلام ، و لكن يفسره مابعده كما فى قوله تعالى : (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (٢)) ؟

ويعد الكتاب من قبيل حكاية القول دون ذكره عبارة : (أن يَامُوسَى) فى آية : (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِى مِنْ شَاطِئِ الْوَادِى الأَيْمنِ فى البُقْعةِ المُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ)(٣) . والواقع أن الفعل (نودى) من قبيل القول ، فالنداء ضرب منه

---

(١) سورة التوبة : ١١٧
(٢) سورة الإخلاص : ١
(٣) سورة القصص : ٣٠

ولا يكون إلا به . وإذا لا يكون القول فى الآية محذوفا .

وشيوع حذف القول فى القرآن لاينقض الحكاية ومقول القول كما يقرر الكتاب ، وهو يذكر هنا فيما يذكر من الآيات : (وإذْا يَرْفعَ إبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإسْمَاعِيلُ ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا) ويقول النحويون : إن التقدير فيها : يقولان : ربنا . وقد أظهره عبد الله ابن مسعود فى قراءته[1] ، وأخذ النحويون فى تقريرهم له بهذه القراءة .

ويقول الكتاب : « إن فيما يسبق القول المحكى من الكلام مايوحى به » ، وهو قول لا خلاف فيه ، ولهذا جاز حذفه حينئذ . وهو إذ يقدر لايكون تقديره من فراغ ، وليس يعدو تقديره أن يكون تعبيرا عما فى الذهن تلقيا من فحوى الكلام .

ويذكر أن فى القرآن إيجازا لا تحيط به قواعد النحو ، ويضرب مثالين لذلك ، الأول : « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها)[2] والآخر : (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطى ، وَقُومُوا لِلهِ قَانِتِينَ . فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا)[3] .

والذى تقوله قواعد النحو أن ماقبل المحذوف يدل عليه حين يكون الحذف جائزا كما فى المثالين .

والكلام فى المثال الأول عن الإحسان وعاقبته ، والإساءة وعاقبتها ، غير أن الأسلوب إذ يذكر الإحسان يجعل فعلى الشرط والجواب من لفظه ، وإذ يذكر الإساءة يجعل الشرط وحده من مادتها ، ويحل محلها فى الجواب بيان من تقع عليه عاقبتها . وإذا يكون التأويل : وإن أسأتم فإساءتكم ، بدلا من أسأتم لأنفسكم . ويكون التأويل فى الآية الأخرى : فإن خفتم فصلوا رجالا أو ركبانا ، لأن الحديث عن الصلاة . وإذا لم يمتنع على قواعد النحو أن تحيط بإيجاز الآيتين كما يقول الكتاب

وينكر الكتاب فى فصل الاستثناء أن يكون سوى بمعنى غير ، ويقول :

(١) الكشاف : ١ : ٧٤

(٢) سورة الإسراء : ٧

(٣) سورة البقرة : ٢٣٨ ، ٢٣٩

« فمادتها اللغوية تدل على أن معناها [نقيض معنى غير » ، لكنه لم يبين كيف ؟

والذى فى اللسان : « سوى بالقصر يكون بمعنيين: يكون بمعنى نفس الشىء ، ويكون بمعنى غير ... وفى الحديث : سألت ربى ألا يسلط على أمتى عدوا من سواء أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، أى من غير أهل دينهم . وقال الفِنْد الزِّمَّانى :

ولم يبق سوى العدوا
ن دِنَّاهم كما دانوا »

وروى الكتاب هذا البيت ، ثم تركه لا يعقب عليه بشىء ، وإن كان لصريحا فى دلالة سوى على معنى غير . ثم نقل كلام الفراء عن قوله تعالى : « غير المغضوب عليهم ولا الضالين[1] » حيث يقول : « وأما قوله تعالى : « ولا الضالين » فإن معنى « غير » معنى « لا » ، فلذلك ردت عليها . هذا كما تقول : فلان غير محسن ولا مجمل فإذا كانت « غير » بمعنى « سوى » لم يجز أن تكر عليها « لا ... » ، ثم يقول الكتاب :

« وواضح أن الفراء يلحظ الفرق بين « غير » وسوى ، وينكر ما يذهبون إليه من استعما لهما بمعنى واحد » .

والواضح حقا أنهم إذ يذكرون « سوى » مع « غير » فى باب الاستثناء ، ويتحدثون عنهما بما يدل على اتفاقهما معنى — إنما يريدون أن « سوى » تجىء بمعنى غير حين تكون للاستثناء . وليس يمنع من ذلك أن يكون فى « غير » من معنى النفى فى بعض الأساليب ، لاشتقاقها من المغايرة . وقول الفراء نفسه : « فإذا كانت « غير » « بمعنى « سوى » لم يجز أن تكر عليها « لا » ... — يدل على أن « سوى » عنده تكون بمعنى « غير » ، كما أن « غير » تكون بمعنى « سوى » . ثم ما الرأى فى الحديث الشريف وبيت الفند الزمانى اللذين ذكرناهما آنفا ، وكلاهما شاهد على أن « سوى » معناها معنى « غير » ؟

ويصنع الكتاب بقولتين للزمخشرى مثل ما صنع بقولة الفراء الآنفة ، قال

---

(١) سورة الفاتحة ٧

الزمخشرى فى قوله تعالى : (إنما أنت مُنْذِرُ من يخشاها(١)) : وقرى (منذرٌ) بالتنوين ، وهو الأصل ، والإضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فإذا أريد المضى فليس الإضافة ، كقولك : هو منذر زيد أمس .

وهو كلام صريح الدلالة يمنع تنوين اسم الفاعل الماضى إذا خلص لزمنه . وقال الزمخشرى فى قوله تعالى : (ولا أنتم عابدون ماأعبد ، ولا أنا عابدٌ ماعبدتم(٢)) : « أى وما كنت قط عابدا فيما سلف ماعبدتم فيه ، يعنى لم تعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف ترجى منى فى الإسلام » ؟

وهذا أيضا كلام صريح الدلالة كالذى قبله ، ينفى عن الرسول عبادة الأصنام فى الماضى ، وينفيها عنه نفيا أشد فى الحاضر. فاسم الفاعل (عابد) منفى المعنى مضيا وحضورا ، أى أنه ليس خالص الدلالة على الزمن الماضى كالمثال الذى ذكره الزمخشرى: هومنذرزيدأمس. ولكن الكتاب برغم ذلك يقول : « وهذا يدل على أن اسم الفاعل المنون يرد لمعنى المضى خلافا لما يدعون » . على أن هذا القول ليس بالجديد . فالكسائى وجماعة معه يجيزون إعمال اسم الفاعل الماضى الزمن ، أخذا بظاهر قوله تعالى: (وكَلْبُهم باسطٌ ذراعيه بالوَصِيد)(٣) .

ولايرى الكتاب أن إضافة اسم الفاعل من قبيل الإضافة اللفظية ، فيقول : « ولا عبرة بدعواهم أنها إضافة لفظية ، لا يكتسب بها الاسم المضاف تعريفاولا تخصيصاً » .

ولاندرى ماذايرى الكتاب إذا فى وصف النكرة به وهو مضاف إلى معرفة فى قوله تعالى : (يَحكُم به ذوا عدل منكم هَدْيا بالغَ الكعبةِ)(٤) ، ووقوعه حالا فى قوله أيضا : (ومِن الناسِ مَن يجادلُ فى اللهِ بغيرِ عِلْم

---

(١) سورة النازعات : ٤٥

(٢) سورة الكافرون : ٣ ، ٤

(٤) سورة المائدة : ٩٥

(٣) سورة الكهف : ١٨

ولا هُدى ولا كتابٍ مُنِيرٍ ، ثانى عطْفِه[1]) . وهو بعد يعزو إلى النحويين أن إضافة الصفة المشبهة عندهم من الإضافة المحضة ، والحق أنها عندهم لفظية ، وهم يحتجون لذلك بقول أبي ذؤيب يصف تأبط شرا :

فأتت به حُوشَ الفؤاد مبطَّنا
سُهُدا إذا ما نام ليل الهوْجل

فقد وقعت فيه « حوشى » حالا ، مع إضافتها إلى « الفؤاد » .

ويورد الكتاب فى فصل جملة النفى طائفة من الآيات الكريمة ، زيدت « من » فى بعضها ، و « الباء » فى بعضها الآخر ، ثم هو لا يرى أنهما زائدتان . ولا ندرى ماذا يرى فى قوله تعالى : « هلْ مِن خالقٍ غيرُ اللهِ يَرزقكم[2]) ، فقد ذكرت فيه (خالق) مجرورة بمن الزائدة ، وذكرت (غير) مرفوعة وفاقا لمحله ، لا مجرورة وفاقا للفظه . وهل يعنى هذا إلا أن « من » زائدة ، وأن (خالق) بعدها معرب فى واقع الأمر بما كان يعرب به حين لا تذكر « من » قبله ؟

وينكر الكتاب أن يكون للزمن مدخل فى جملة الحال حين تكون فعلية فعلها ماض مثبت ، ويرتب على ذلك ألا تقدر قبلها « قد » ، إذا لم تكن مذكورة . فأما ألا تقدر « قد » قبلها حينئذ فرأى يراه الأخفش ، وهو إذا ليس بالجديد . وأما ألا يكون للزمن فيها مدخل فلا ، لأن الحال أياما كانت وصف لصاحبها مقارن لزمن العامل فيها . ولنأخذ مثلا لبيان ذلك الآية التى استشهد بها ، وهى : (أو جاءوكم حَصِرَت صدورُهم[3]) ، فضيق الصدور الذى تدل عليه جملة (حَصِرت صدورُهم) كان صفة قائمة بالقوم حين جاءوا الرسول عليه السلام ، لا له ولا عليه

(١) سورة الحج : ٩
(٢) سورة فاطر : ٣
(٣) سورة النساء : ٩

وإذ يدنوا لكتاب من نهايته يذكر أن فى القرآن صورا للتعجب لاتعرفها كتب النحو ، ولا قواعد النحاة ، ويورد مثالين متشابهين : أولهما قول الله تعالى : (إنه فكّر وقدّر ، فقتل كيف قدّر[1])

والحق أن النحاة لم يعرضوا لأساليب التعجب بالاستقراء والحصر ومن قولهم فى ذلك : «التعجب له عبارات كثيرة واردة فى الكتاب والسنة وكلام العرب . . . والمبوب له فى النحو صيغتان : إحداهما ما أفعله ، والأخرى أفعل به ، لأنهما الصيغتان اللتان وضعتا له ، واللتان يمكن أن ترسم لهما حدود ، وتوضع قواعد . أما غيرهما فضروب من الأساليب لها معان أصيلة تؤديها ، وإنما التعجب طارئ عليها ، ومفهوم منها عرضا .

ويرى الكتاب أن التعجب فى الآية التى نقلناها عنه . وفى الآية الأخرى التى تركناها إنما هو فى كلمة (قُتل) ، وينقل لتعزيز رأيه قول الزمخشرى : «تعجيب من تقديره . وإصابته فيه المحز . . . ، ومعنى قول القائل : قتله الله ما أشجعه ! ، وأخزاه الله ماأشعره ! ــ الإشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذى هو حقيق بأن يحسد عليه ، ويدعو عليه حاسده بذلك » .

وكلام الزمخشرى غنى عن التفسير ، فقوله فيه أولا : «تعجيب من تقديره » ، وقوله بعد : «حقيق بأن يدعو عليه حاسده» ــ يدلان فى غير لبس على أن التعجب إنما يكمن فى الاستفهام بكيف ، لأنها التى ذكر بعدها التقدير الذى يستحق التعجيب ، ولأن دعاء الحاسد على صاحب هذا التقدير العجيب إنما هو بكل من : «قتله الله ، وأخزاه» ، فكلاهما فعل يراد به الدعاء لا الإخبار .

والكتاب بعد هذا يتناول النحاة حين ينقدهم بما يمكن أن يعد انتقاصا لهم وزراية عليهم ، لا يفرق بينهم ،

(١) سورة المدثر : ١٨ ، ١٩

ولا يستثنى منهم . وإلا فماذا نقول عن وصفهم جميعا بالشطط ، والتخليط وهزال الرواية ، وخيانة الحس والذوق اللغوى ، ثم وصف كثير ممن أسسوا قواعد النحو ، وأحكموا مغاليقها بقصور الفهم وضيق الأفق » .

والسابقون الأولون من النحاة ، خاصة هم أئمة العربية ، وحفظة تراثها ، أخذوها سماعا من أهلها ، إما تلقيا عن الوافدين منهم إلى الحاضرة ، وإما نفورا إلى البادية ، يعيشون بينهم ، ويشافهونهم ، ويروون عنهم ، ويدركون معناهم بما يقولون فى التصريح والتلميح ، وحين الإفراد والتأليف . ومنهم بعد ذلك من ذكر بين أئمة القراء . فإذا لم تؤخذ العربية عنهم ، ولم يكونوا هم أصحاب الرأى فيها فمن يكون ؟

وما أريد بذلك أن أسمو بهم عن النقد والملاحظة ، ولكن الذى أريده أن يعرف فضلهم ، وأن يدور القول معهم على الحقائق ، يوردها من يشاء ، معززة بشواهدها وحججها ، "ويدع لها هى الفصل وإصدار الأحكام .

وينكر الكتاب فيما ينكر من أمر النحاة أنهم «اعتمدوا فى وضع قواعد النحو على مابلغهم من كلام العرب : شعره ورجزه ومثله ، أو آثروا جانب المنطق ، فتصوروا القاعدة قبل استقراء المادة اللغوية » .

والشطر الأول من هذه الفقرة يمكن أن يعد من المدح بما يشبه الذم فماذا كان يراد منهم أن يعتمدوا عليه فى وضع النحو أكثر مما جاءهم من نصوص الكلام العربى على اختلافها؟ أكان يراد منهم مثلا أن يحددوا إقامة القبائل ، كل فى ديارها لاتبرحها حتى يمروا بها قبيلة قبيلة ، فيستوعبوا كل ما قال أهلها فردا فردا ، لا يفلت منهم قائل ولايند عنهم لفظ ؟ أم المراد أنهم أكثروا الاعتماد على كلام العرب مالم يكثروا مثله على القرآن الكريم ؟

إن يكن ذلك هو المراد فذلك مالم يكن لهم منه بد ، لأنه الأمر الذى يقضى

به الواقع ، فالقرآن من العربية ، وليست العربية من القرآن ، هى أكثر مادة ، وأساليبها أشد تنوعا وتعقيدا ، لأنه القرآن وكفى ، ولأن للنثر سعته وسماحته ، وللشعر مآزقه وتشدده .

والمهم أنهم لم يقصروا فى الرجوع إلى القرآن والتعويل عليه مادعت داعية ، قد فعلوا . فعدة شواهد سيبويه من القرآن الكريم ٣٧٣ ، ومن الشعر والرجز ١٠٦١ [1] ثم هم لم يقصروا فى تفسيره ودراسته على نور من النحو ومسائله ، فتصدى كثير منهم لإعرابه والاحتجاج لقراءاته ، حتى القراءات الشاذة .

أما تصورهم « القاعدة قبل استقراء المادة » فقول مرسل ، لايصحبه مثال ولا بينة . وإن يكن من ذلك شىء فلا نكران له إلا إذا أسفر الاستقراء اللغوى عن قصور القاعدة بما يجعلها غير مستوعبة لجمهرة ما تنطبق عليه من النصوص . فالمعول عليه أن تكون القاعدة صحيحة وصالحة ، وليكن مأتاها ما يكون .

هذا ، ولم أتبين للكتاب رسالة يؤمن بها ، ويدعو إليها . على أنى رأيته يكرر القول فى التأويل والتقدير ، ويكثر التنديد بهما . فهل يمكن أن نفهم أنه يدعو إلى الوصفية فى النحو وينهى عن المعيارية فيه كما يفعل بعض الباحثين من المعاصرين ؟

فإن تكن تلك رسالته فهل يريدها وصفية فى القرآن خاصة ، أو فيه وفى غيره من نصوص العربية ؟ فإن تكن الأولى فماله سكت عن بقية أبواب النحو لم يدرسها فى القرآن كما صنع بالأبواب التى ذكرها ؟ وإن تكن الأخرى فما باله لزم القرآن فى دراسته لايعدوه ؟

وبعد ، فقد مررت بهنوات لغوية ونحوية فى عبارة الكتاب ، لعلها تسللت إليها على حين غفلة لشيوع تداولها فى لغة العصر ، وهى :

(١) ذكر متعلق الجار والمجرور مع أنه كون عام فى قوله ص ٢١ : « وليس موجودا فيها » ، ولا يخفى أن حذفه هنا واجب ، وقد ذكر الكتاب وجوب حذفه فى : ص ٣٤ ، ٤٨

---

(١) سيبويه إمام النحاه : ٢٣٥

(٢) قلب ياء « افتيات » همزة في قوله ص ٢٩ : « وذلك لعمرى افتئات » : ولا وجه لهذا القلب ، فالافتيات مصدر افتات : والمادة اللغوية للكلمة هي « الفوت » ، فأصلها : افتوات ، قلبت الواوياء لا همزة .

(٣) زيادة الباء في مفعول « قَبِل » في قوله ص ٣٦ : « وأنى لهم أن يقبلوا به ؟ » ، والمراد أنه بعيد أن يقبلوه . والفعل بهذا المعنى ينصب مفعوله بنفسه وإنما يصل إليه بالباء إذا كان بمعنى كفل وضمن ، فيقال حينئذ : قبل به .

(٤) استعمال « بينما » في أثناء الكلام في قوله ص ٨٢ : « يغلب فيها شبه الفعل ، بينما الإضافة امتزاج » ، فبينما في العبارة تتعلق بيغلب قبلها . وتذكر كتب اللغة أن « بينما » مماله الابتداء ، فلها صدر الكلام ، كأشباهها من أسماء الشرط والاستفهام .

على الجندى ناصف

عضو المجمع

مطلع الفوائد ومجمع الفرائد

لجمال الدين بن نباتة المصري

تحقيق الدكتور عمر موسى باشا
تعريف ونقد الأستاذ محمد عبد الغني حسن

إذا ذكرنا اسم « ابن نباتة » خطر على البال أسماء أربعة من الأدباء والعلماء اشتهروا بهذا الاسم سواء أكانوا من أسرة واحدة أم من أسر مختلفة.

وأول هؤلاء : ابن نباتة الفارقي خطيب حلب والمتوفى بها سنة ٣٧٤ هـ وثانيهم ابن نباتة السعدي الشاعر الذي اشتهر بصلته بسيف الدولة بن حمدان ، واسمه عبدالعزيز ابن نباتة وقد توفي ببغداد سنة ٤٠٥ هـ وثالثهم : شمس الدين بن نباتة المحدث والمتوفى بدمشق سنة ٧٥٠ هـ .

ورابعهم : جمال الدين بن نباتة المصري . الذي شرح الرسالة الهزلية لابن زيدون الأندلسي ، وقد حققها أخيرا الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم . وهو صاحب كتاب « مطلع الفوائد » الذي نترجم هنا بالتعليق عليه ، وهو ينشر لأول مرة عن نسخ خطية اعتمدها المحقق . ومن العجيب أن يتأخر نشر هذا الكتاب إلى زماننا هذا مع ماله من أهمية أو مع كونه من أجود كتب ابن نباتة إن لم يكن أجودها على الإطلاق؟

وصاحبنا جمال الدين بن نباتة هذا هو حفيد ابن نباتة الفارقي الخطيب ، وولد شمس الدين المحدث . وبهذا النسب النباتي الزاكي افتخر شاعرنا جمال الدين بقوله :

ورثت اللفظ عن سلفي وأكرم
بآل نباتة الغر السراة

فلا عجب للفظي حين يحلو
فهذا القطر من ذاك النبات

ولم تنصف الحياة لابن نباتة أول الأمر في أرض مولده : مصر ، فقد لقي في معاشه نصبا ورهقا ، ورزق كثرة من الأولاد ضاق به رزقهم ، وأصبحت مطالب أفواههم وبطونهم تقتضيه السعي بلا جدوى ومن هنا بدأنا نسمع في شعره نغمات الشكوى من مثل قوله :

لقد أصبحت ذا عمر عجيب
أقضي فيه بالأنكاد وقتي

من الأولاد خمس حول أم
فواحرباه من خمس وست

ونلاحظ فى هذين البيتين أن النورية الحلوة لا تفوت شاعرنا حتى فى ساعات يأسه ، فقد ورى فى لفظة «ست» بين ست الدالة على العدد المقابل لخمس ، وبين ست ، بمعنى : سيدة ، وقد شاع استعمالها فى الأدب المكتوب أو فى لغة الخطاب منذ زمن بعيد

ولما كان المقام على الضيق والهوان مما لا يليق بالكرام افقد آثر ابن نباتة أن يهجر مصر ويجرب حظه فى أرض أخرى فسافر إلى دمشق سنة ٧١٦ هـ وقد أوفت سنه على الثلاثين فأقام بها بعض الوقت فى رعاية والده المحدث شمس الدين الذى كان يتولى تدريس الحديث فى دار الحديث النورية بالعاصمة السورية، ثم بداله أن يترك دمشق إلى مدينة حماة حيث كان ملكا عليها الملك المؤيد أبو الفداء أحد البقية الكريمة من ملوك بنى أيوب . وكان فى الملك المؤيد ميل إلى الأدباء والشعراء والعلماء ورعاية لهم وعطف عليهم . وقد سبق ابن نباتة أليه الشاعران الأديبان صفى الدين الحلى ، والشهاب محمود الحلبى وغيرهما .

وهنا حظى ابن نباتة بتقدير الملك المؤيد وحسن رعايته، حتى كاد ينسى مصر ونيلها، مما يفصح عنه قوله :

ألم تر أنا قد سلونا بأرضه
مرادا لنا فى أرض مصر ومربعا

إذا ابن تقى الدين جاد نباته
علينا فلا مدت يد النيل أصبعا

وهنا فى «حماة» بدل عسر شاعرنا يسرا . وانجابت عنه الضائقة التى من أجلها هجر وطنه مصرا وأصبح يتقلب فى أعطاف النعمة عند ذلك الملك الأديب الكريم .

وإذا كانت اللها تفتح اللها كما يقول المثل العربى افإن أعطيات الملك المؤيد لابن نباتة قد فتحت لهاته بشعر المديح الجيد يقوله فى هذا الملك المعطاء ، حتى لقد بلغت مدائحه فيه قدرا من الشعر والقصائد سميت «المؤيديات» . يقول فى إحداها :

ملك باهر المكارم يروى
وجه لقياه عن عطاء وبشر

زرت أبوابه فقرب شخصى
ومحا عسرتى ، ونوه ذكرى

ونحا لى من المكارم نحوا
صاننى عن لقاء زيد وعمرو

ويقول فى أخرى :

يأيها الملك الذى
رد الحقائب شاكره

وسما بهمته على
غرر النجوم الزاهره

حتى انتقى من زهرها
هذى الحلل الباهره

سقيا لدهرك إنه
دهر الأيادى الوافرة

ويقول فى ثالثة :

يامليكا أحيا الثنا والعطايا
فجلبنا لسوقه الأشعارا

أسأل الله أن يزيدك فضلا
وسموا على الورى وفخارا

صنتنى عن أذى الزمان وقدحا
ول حربى واستكبر استكبارا

وانبرى غيثك الهتون بجدوى
علمتنى مدائحا لاتبارى

ولما مات الملك المؤيد سنة ٧٣٢ هـ طوى بساط أخضر كان يمشى عليه ابن نباتة فى رحابه ، وإن كان قد اتصل بالملك الأفضل ابن المؤيد — بعد أن سار إليه مهنئا ومعزيا بقصيدته المشهورة التى يقول فيها :

هناء محا ذاك العزاء المقدما
فما عبس المحزون حتى تبسما

ثغور ابتسام فى ثغور مدامع
شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما

وهى من القصائد الجيدة التى جمعت بين مواقف التهنئة والتعزية ، وهو موقف قد يزل فيه الفحول ، ولا يقوى عليه إلا القادرون . . .

ولما مات الملك الأفضل سنة ٧٤٢ هـ انتهت بموته حياة الأسرة الأيوبية فى حماة ، وانقطعت صلة ابن نباتة بمن يفرج كربته ، ويصله بالعطاء .وهنا عاد العسر إلى حياة صاحبنا من جديد ، وترك حماة إلى دمشق ، وانعزل عن الناس . وهنا ابتلاه الله بفقدان الولد ؛ ويروى الصفدى فى كتابه أنه دفن قريبا من ستة عشر ولدا (كلهم إذا ترعرع وبلغ خمسا أو ستا أو سبعا يتوفاه الله ، فيجد لذلك الآلام المبرحة ، ويرثيهم بالأشعار الرائقة الرقيقة) .

ولم تكفه وظيفة ناظر القيامة بالقدس الشريف التى قررها له الصاحب أمين الدين فى موسم كل عام من زيارة النصارى لها ؛ ولم تسله وظيفة أخرى فى ديوان التوقيع بدمشق ؛ وكان خلال ذلك الوقت دائم الشوق والحنين إلى مصر ومعالمها وآثارها ونيلها وهرمها ؛ فأطال فى ذلك الباب شعره الذى يقول فى بعضه :

ياسارى البرق فى آفاق مصر لقد
أذكرتنى من زمان النيل ما عذبا

حدث عن البحر أو دمعى ، ولا حرج
وانقل عن النار أو قلبى ولا كذبا

واندب على الهرم الغربى لى عمرا
فحبذا هرم فارقته وصبا

ويقول فى بعضه الآخر :

آها لمصر ، وأين مصر ؟ وكيف لى
بديار مصر مراتعا وملاعبا ؟ !

حيث الشبيبة ، والحبيبة ، والوفا
فى الأعربين مشاربا وأصاحبا

والطرف يركع فى مشاهد أوجه
عقدت بها طرر الشعور محاربا

والدهر سلم كيفما حاولته
لا مثل دهرى فى دمشق محاربا

وفى سنة ٧٦١ هـ كان بمصر السلطان الناصر حسن بن قلاوون ؛ فبدأ ابن نباتة يرسل إليه المدائح حتى أمر السلطان باستدعائه وجهزه إلى مصر وأجزل له العطاء، وجعل له

راتبا معلوما يصرف إليه كل شهر ؛ وإن كان هذا الراتب لم يصل إليه بصورة منتظمة تبعا لأهواء المتصرفين . :

وظل كذلك إلى أن توفى سنة ٧٦٨ هـ عن عمر يناهز اثنين وثمانين عاما ..

هذا هو ابن نباتة الأديب الشاعر الذى كان يعد أمير الشعر فى عصره فى القرن الثامن الهجرى . وصاحب كتاب « مطلع الفوائد ومجمع الفرائد » الذى أحسن مجمع اللغة العربية فى دمشق بنشره بعد أن ظل مطويا فى غبار السنين ، بضعة من القرون .

وإذا كانت رسالة ابن زيدون الجدية قد تولى « الصفدى » شرحها والتعليق عليها ، وأسماها « تمام المتون » فأن ابن نباتة قد تولى شرح الرسالة الهزلية لابن زيدون المسماة « سرح العيون » . وقد كشف هذا الشرح الجميل عن أدب ابن نباتة ، وكثرة معارفه ، واتساع دائرة أخباره الأدبية ، وإحاطته بأشعار العرب وأمثالهم ومحاضراتهم ومسامراتهم ، وإشاراتهم التاريخية التى تشتمل عليها تلك الرسالة .

وقد تحملنا الرغبة فى توضيح المقاصد على الاستطراد إلى ذكر الباعث لابن زيدون على إنشاء تلك الرسالة الهزلية المملوءة هزوا وسخرية . فقد كان كلفا بولادة بنت المستكفى — وهى امرأة من بنات الخلفاء الأمويين بالأندلس فيها ظرف وأدب ولها نوادر ونظم رقيق — وسمع الوزير الأندلسى « ابن عبدوس » بولادة ، فأرسل إليها امرأة من جهته تستميلها إليه ، وتذكر لها محاسنه ومناقبه ، وترغبها فى التفرد بمواصلته. وبلغ ذلك ابن زيدون وهو من هو غراما بها وتدلها فيها ، فثار غضبه ، وأنشأ يكتب رسالة جوابا له عن لسانها تتضمن غرائب من سب ابن عبدوس ، والتهكم به ، والسخرية منه ، وجعل الرسالة جوابا له على لسان ولادة ... وأرسلها إليه ، فبلغت منه كل مبلغ ، وذاعت فى الآفاق ، وحفظها الناس ، وتندروا بها ، مما جعل ابن عبدوس يتضاءل ، وتصغر نفسه ، ويمسك عن التعرض لولادة .

ولم يدع ابن نباتة فى خلال شرحه لرسالة ابن زيدون مثلا إلا ذكر مضربه ، ولا خبرا إلا فصل القول فيه ، ولا علما من الأعلام إلا ترجم له ، وذكر من أخباره مالا نجده فى كتاب آخر . ومن الأعلام الذين ترجم لهم : الأحنف بن قيس ، وأبو الأسود الدؤلى ، وأكثم بن صيفى ، وامرؤ القيس ، وبشار بن برد ، وأبو تمام ، والجاحظ ، وحاتم الطائى ، والحجاج بن يوسف ، ودريد بن الصمة ، والزباء ، وزيد الخيل ، وطويس المغنى ، وعبد الحميد الكاتب ، وعبد الله بن معاوية الهاشمى ، وعبد الحميد الكاتب ، وأبو العتاهية ، وعمر بن أبى ربيعة ، وعمرو بن هند ، والفرزدق ، ومالك بن أنس إمام دار الهجرة ، ومجنون ليلى ، والمهلب بن أبى صفرة ، والنعمان بن المنذر ، والنظام وغيرهم .

وكتاب «مطلع الفوائد ومجمع الفرائد» قسمه مؤلفه ابن نباتة إلى ثلاثة أقسام كبار . فالقسم الأول يشتمل على ثلاثة فصول : أولها فى بعض قضايا من غرائب الحديث النبوى ، وثانيها فى ذكر غرائب الأساليب العربية ، وثالثها فى بعض أبيات المعانى المشكلة القديمة والمحدثة .

وقد بلغ مجموع أبيات هذه المعانى فى هذا الفصل اثنين وأربعين بيتا ، موزعة بين المدح والوصف والغزل والمراثى والهجاء ، والاستعطاف .

والقسم الثانى من الكتاب تناول فيه ابن نباتة مبتدعات الشعراء ومخترعاتهم ، بدءا من الشاعر مسلم بن الوليد ، وانتهاء بابن نباتة نفسه ، الذى رأى أن لاينسى نفسه وهو فى موقف الاختيار من مبتدعات الشعراء . وقد بلغ عدد الشعراء الذين اختار لهم روائع ، وعثر عندهم على بدائع ، خمسة عشر شاعرا هم على الترتيب الزمنى : مسلم بن الوليد ، أبو نواس ، أبو تمام ، البحترى ، ابن الرومى ، ابن المعتز ، المتنبى ، ابن نباتة السعدى ، الشريف الرضى ، التهامى ، أبو العلاء المعرى ، ابن سنان الخفاجى ، ابن قلاقس الأسكندرى ، ابن سناء الملك ، ابن نباتة المصرى .

ولم يرجع ابن نباتة باختياره لمخترعات الأشعار إلى ماقبل الشاعر مسلم بن الوليد ، ولم يسقط على العصر الجاهلى وصدر الإسلام وبنى أمية . وهو يرى أن مسلم بن الوليد هو (الأول الذى أرق معانى الشعر و الكبير الذى علم أهل هذه الصناعة السحر . . .)

وقد حصر المؤلف الأبواب التى أجاد فيها هؤلاء الشعراء الخمسة عشر فى المدح ، والوصف ، والنسيب ، والرثاء و الأغراض المختلفة . فى باب المديح يأتى بمخترعات كل شاعر على حسب ترتيبهم الزمنى ، مبتدئا بمسلم ابن الوليد ، ومنتهيا بنفسه. وكذلك يفعل فى بقية فنون الشعر التى اختارها . ومعنى هذا أن الشاعر المختار له يتكرر ورود اسمه خمس مرات ، فى خمسة أبواب من الشعر .

ويذكر لنا ابن نباتة فى خطبة كتابه ماالذى يعنيه بالاختراع والمعانى المخترعة فى الشعر فيقول : (وعنيت بالاختراع من ولد معنى جليلا وجلاه ، وكمله واستوفاه ، فصار من سواه أحق به ، وأولى بانتمائه ونسبه ، ولم أذكر من أين خطفه وقطفه ، لأن ذلك مما يقتضى ملل الفكر الطامح ، ويوقع فيما عبته من اختلاط السانح بالبارح . وأغنيت به عن تفتيش الكتب المسهبة ، والأسفار المنصبة ، والدواوين ومناقشة حسابها ، والمؤلفات والوقوف على أبوابها) .

والقسم الثالث من الكتاب يتناول معانى الكتاب المخترعة . وقد حصر عدد الكتاب المختار لهم فى ثمانية أولهم بديع الزمان الهمذانى ، وآخرهم ابن نباتة نفسه . وقد رأى المؤلف فى هذا القسم المنثور أن لاينسى نفسه ، فاختار لشخصه فيما اختار من مخترعات المنثور ، ورأى أن يسلك نفسه فى عقد ثمانية من الكتاب اعتقد أن كتاباتهم تمثل نماذج رائعة فى فن

الكتابة العربية . وهؤلاء الكتاب هم : بديع الزمان الهمذانى ، وأبو القاسم الحسين بن على المعروف بالمغربى ، وأبو الحسن بن بسام ، والقاضى الفاضل ، وهبة الله بن سناء الملك ، وضياء الدين بن الأثير الجزرى ، ومحى الدين بن عبد الظاهر ، والمؤلف جمال الدين ابن نباتة المصرى .

وكان ابن نباتة كثير الإعجاب بالقاضى الفاضل وطريقته فى الكتابة ، فجعله معلما من معالم الطريق ، وذكر بدائع المتقدمين عليه ، والمتأخرين عن زمانه .

وإذا كان ابن نباتة فى باب مخترعات الشعراء يجتزئ بالبيت الواحد أو البيتين أو بضعة الأبيات عن أيراد القصيدة كلها للشاعر المختار له فإنه فى باب مخترعات الكتاب يجتزئ بالعبارة الواحدة عن أيراد الرسالة كلها ، لأنه بصدد الوقوع على معان مفردة مخترعة لا بصدد التسجيل لآثار نثرية كاملة . وقد يكون هذا جائزا و مقبولا فى الشعر ، لأن البيت أو البيتين أو حتى بضعة الأبيات قد تكون وحدة قائمة بذاتها ، على أن السطر أو السطرين من الرسالة النثرية قد تبتر أوصالها فلا يعرف القارئ أين هو منها .

ويبدو فى الكتاب استقلال المؤلف بشخصه وظهور شخصيته فى الآراء . فهو ليس مجرد ناقل ، ولكنه ينخل الآراء ويعلق عليها ويبدى رأيه فيها ، كأن يقول : (وهذا أقرب الأقوال إلى الحقيقة) أو يقول : (وهذا معنى بعيد . وما أعتقده أراد بالماءين غير عينى الناقة ، وأنه أغارهما من الكلال وجهد السير ، وهذا القول كثير فى أشعارهم) ، أو يقول : (وهذا قول ساقط لا يخفى على من عنده أدنى فهم بالمعانى ، فأن المراد بالأسود العرب ، والحسن لهم ، وأقبح ما يكون القبح فى البيض ، أو يقول : (وهذا نقل غريب لم أجده فى أكثر الكتب فى اللغة ، فإن صح ، فيكون هذا الوجه أقرب الوجوه ، على أن قول أبى عبيدة أمكنها .....) .

وإذا كان ابن نباتة فى شرحه لرسالة ابن زيدون الهزلية قد وقف عند كثير من الأشارات الأدبية والتاريخية فجلاها ، وفصل الكلام فيها ، فأنه كان كذلك فى كتاب «مطلع الفوائد ومجمع الفرائد» أنه يستطرد وينتقل من غرض إلى غرض ، ويجره الحديث عن شئ إلى الحديث عن شئ آخر . فانه فى خلال حديثه عن العرفج — وهو النبت الذى تسرع النار فيه إذا أوقد — استطرد إلى ذكر نيران العرب ، فقال : (وعلى ذكر النار فأنا أجرى شيئا من ذكر نيران العرب لا تخلو معرفتها من فائدة ، كانت لهم من النيران :

نار الحلف ، وهى النار التى كانوا لا يعتمدون حلفهم إلا عندها ، ويذكرون منافعها ويدعون الله بالحرمان من منافعها على من نقض العهد . وربما دنوا منها حتى تكاد تحرقهم ، يهولون بذلك على من يخاف غدره .

ونار الحرب ، كانوا يوقدونها إذا أرادوا حربا وتوقعوا جيشا ، ليبلغ الخبر أصحابهم

فيجتمدون. وربما جدوا فى الطلب فأوقدوا نارين . قال الفرزدق :

ضربوا الصنائع بالملوك ، وأوقدوا
نارين أشرفتا على النيران

ونار المسافر ، وهى النار التى كانت توقد خلف المسافر الذى لا يحبون رجوعه ، يقولون فى الدعاء : أبعده الله وأسحقه ، ثم يوقدون نارا أثره . ومنها قول بعضهم :

وجمة أقوام حملت ، ولم تكن
لتوقد نارا إثرهم للتندم

ونيران كثيرة أضربت عن ذكرها حذرا من الخروج عن المقصود ......)

وإذا كان الاختيار من الشعر أو النثر يدل على ذوق خاص عند الشخص المختار ، فان الاختيارات تبعا لهذا تتغير من شخص إلى آخر ، ولا ينتظر أن نلتقى عند أبى تمام مثلا فى مختاراته ما نلقاه عند البحترى ، أو عند صاحب الحماسة البصرية ، أو عند محمود سامى البارودى فى مختاراته ، أو عند الشاعر جميل صدقى الزهاوى فيما اختاره من عيون الشعر . إن الأذواق تتفاوت . وقد تكون أبيات تشترك هنا وهناك عند واحد من أصحاب المختارات الشعرية . ولكن الغالب أن يستقل كل صاحب اختيار بذوق خاص ، وطعم خاص . ومن هنا نجد فيما اختاره ابن نباتة من مخترعات الشعراء ومبتكراتهم ما لا نجده عند غيره من أصحاب الاختيار . وقد وقع فى الحق عند من اختارلهم على معان جياد لا نرى أن نزحم المكان هنا بإيراد بعضها ، ولكنا يجب أن نشير إلى أنه قد أمدنا بأشعار للشعراء الذين اختار لهم ، لا نجدها فى دواوينهم التى بين أيدينا . مما يدل على أنه وقعت له نسخ خطية من دواوين هؤلاء الشعراء لم تقع لنا . وأكثر ما يظهر هذا بصورة تلفت النظر فى الأشعار التى اختارها لابن الرومى ، مما جعل المحقق الفاضل الدكتور عمر موسى باشا يكرر هذه العبارة فى مواطن كثيرة : (لم أعثر على هذا البيت ، أو هذين البيتين ، أو هذه الأبيات فى الديوان ...) .

ومثل هذا مارواه ابن نباتة من شعر لابن الرومى فى المديح يقول فيه :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم
فى الحادثات إذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ، ومصابح
تجلو الدجى ، والأخريات رجوم

فقد علق المحقق على هذا الشعر بقوله : (لم أعثر عليه فى الديوان) والحق أن هذين البيتين موجودان فى « وفيات الأعيان » لابن خلكان فى خلال الترجمة للشاعر ابن الرومى جـ ١ ص ٤٤٢ وقد رواهما ابن خلكان قائلا : (وله أيضا وقال : ماسبقنى أحد إلى هذا المعنى) . ولم يفت الشاعر محمود سامى البارودى فى الجزء الأول من مختارات البارودى ص ٤٠١ أن يسجل هذين البيتين من مدائح ابن الرومى .

ويظهر أن ديوان ابن الرومى لم يصل إلينا كاملا وأن هناك نسخة خطية منه تزيد على ما فى أيدينا من النسخ بألف بيت . ويؤكد هذه الحقيقة ماذكره ابن خلكان وهو يتحدث عن ابن الرومى وعن ديوانه قائلا : (وجمعه أبو الطيب وراق ابن عبدوس من جميع النسخ ، وزاد على

كل نسخة مما هو على الحروف وغيرها نحو ألف بيت)

وكذلك الشأن فى الأبيات النونية التى رواها ابن نباتة لابن الرومى فى مدح إسماعيل بن بلبل المعروف بأبى الصقر ، وهى :

قالوا: أبو الصقر من شيبان قلت لهم
كلا لعمرى ولكن منه شيبان
وكم أب قد علا بابن ذرا شرف
كما علت برسول الله عدنان
ولم وأقصر بشيبان التى بلغت
بها المبالغ أعراق وأغصان
صانوا النفوس عن الفحشاء وابتذلوا
منهن فى سبل العلياء ماصانوا
المنعمون ، ومامنوا على أحد
يوما بنعمى ، ولو منوا لمامانوا

فقد علق المحقق الفاضل على هذه الأبيات بأنه لم يعثر علها فى ديوان ابن الرومى . وهذا حق . ولكن الأبيات من القصيدة النونية التى تبلغ عدتها مائتى بيت . وقد أورد الحصرى القيروانى فى « زهر الآداب » هذه الأبيات الضائعة صفحة ٢٧٢ ، كما أوردها البارودى فى مختاراته . وليس ابن الرومى هو الشاعر الوحيد الذى لم تدخل بعض أشعاره فى ديوانه ، فهناك الشاعر المتنبى الذى يصرح ابن نباتة فى « سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون » بأن له أشعارا لم تدخل فى ديوانه . وقد استكمل الأستاذ العلامة عبد العزيز الميمنى الراجكوتى هذه الأشعار الضائعة فى كتاب « زيادات ديوان المتنبى » المطبوع فى المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٦ هـ

وإذا كان ابن نباتة قد قصد من كتابه « مطلع الفوائد ومجمع الفرائد » أن يتقرب به إلى الملك المؤيد صاحب حماة وأن ينال به الحظوة عنده والقربى لديه حينما وجه قصده أليه بعد هجرته من مصر ، فأنه من ناحية أخرى أراد أن يجمع فى كتابه هذا طرائف المعانى وأبكارها عند بضعة عشر شاعرا رأى أنهم أحق بالأخذ منهم ، والنقل عنهم ، وأن يجمع فيه أيضا طائفة من مبتكرات المعانى فى أقوال البلغاء من الكتاب ، ليجمع فى هذا بين الجيد من قطاف الشعر والنثر . وندعه هنا يعبر بنص عبارته المسجوعة عن هذا القصد بقوله :(وحيث كانت غاية هذا الفن المشهورة وآيته المأثورة النظر فى دقائق المعانى التى هى الأرواح وغيرها الجسوم ، والسكان وماسواها الرسوم ، والاطلاع على أقوال العلماء فى البحث عن فنونها الغامضة ، ومبتدعات الشعراء والكتاب التى هى للأفكار جد رائضة ، ليكون ذلك عونا للمبتدىء على تلقيح ذهنه ، وللمنتهى على تجديد العهد الصالح بفنه ، جعلت هذا الكتاب موضوعا على ذكر ماتناهت أفكار العلماء فى تنقيحه ، وأذهان الشعراء والكتاب فى ترشيحه وترجيحه ، من المعانى الدقيقة أثرا ، الجليلة خطرا ...)

وإذا كان لنا من كلمة فى طريقة اختيار ابن نباتة فى هذا الكتاب ، فأنه فى الحق

على الرغم من ذوقه البالغ وحسه المرهف فى الاختيار — قد ضيق على نفسه الباب من ناحيتين : الأولى حيث حصر نفسه فى نطاق خمسة عشر شاعرا ، وثمانية كتاب لايتعداهم إلى غيرهم . وبهذا قيد نفسه بقيد لايستطيع الفكاك منه ولاالخروج عنه . والثانية أنه قيد نفسه فى أبواب الشعر ومعانيه بخمسة هي المدح والوصف والنسيب والرثاء والأغراض المختلفة ، وبهذا ضاق لديه مجال الاختيار ، ولم يتسع كمااتسع مثلا لدى أبى هلال العسكرى فى كتابه «ديوان المعانى» الذى يعد رائدا فى هذا الباب .

وبعد : فاتى وفق مجمع اللغة العربية بدمشق فى جعل هذا الكتاب من سلسلة مطبوعاته الثمينة التى يصدرها والتى يثرى بها المكتبةالعربية بما تحمله دائمامن حسن الاختيار ودقة التحقيق ، وجمال الإخراج . ولاشك أن « مطلع الفوائد ، ومجمع الفرائد » كان من الاختيارات الحسنة للكتب المخطوطة التى يرى نشرها . وقد كان حريا بالنشر من زمن بعيد . ولاندرى ماالذى عوق نشره ألى وقتنا هذا ؛ ولولا أن اجتمع له عزم المحقق ، وإرادة المجمع ماظفرنا به فى هذه الحلة الأنيقة الرقيقة .

والحق أن جهد المحقق الفاضل هنا وفى هذا الكتاب واضح ، ويستحق عليه الشكر ويستوجب التهنئة ، لولا بعض مسائل نود أن نناقشه فيها ليتجلى وجه الصواب .

* فى صفحة ٢٩٦ ورد البيت الآتى للشاعر عبد الله بن المعتز فى باب النسيب ، هكذا

كيف لايخضر شاربه
ومياه الحسن تشقيه

ولامحل للشقاء هنا ولامعنى له ، وإنما هو : (تسقيه)بالسين المهملة غير المعجمة، وهذا بالطبع من أخطاء الطبع . وقد كان فى النية أن لاأذكره ، لولا أن المحقق لم يصححه فى فهرس التصويبات والمستدركات بآخر الكتاب ، مما يوهم أنه ليس خطأ مطبعيا ، وأنه مما ند عن المحقق .

* وفى صفحة ٢٤٥ ، ورد البيت الآتى من شعر ابن المعتز فى وصف الديك مضبوطا بالشكل على هذه الصورة :

وقام أعلى الجدار مشترف
كمثل طَرف علاه أسوار

بفتح الطاء من كلمة « طرف » ، وهو خطأ صوابه : طِرف بكسر الطاء ، والطرف هو الجواد أو الفرس ، والأسوار هو الفارس الذى يركب الحصان .

* وفى صفحة ٢٢٣ ، جاء البيتان الآتيان من شعر ابن نباتة فى المديح هكذا :

الله جارك ماأبر أناملا
تملى بدائع وصفها فتقول

لو أثر التقبيل فى يد ماجد
لحا براجم كفك التقبيل

كأن كلمة « براجم » مكونة من حرف الجر : الباء ، ومن اسم الفاعل : راجم ،

بدليل كسر الميم من لفظة براجم ، كأنه مجرور بالباء . وليس هذا بالذى يريده الشاعر ، وإنما يقصد الشاعر بالبراجم أنها جمع « برجمة » وهى مفصل الأصبع من اليد . ومعنى البيت كله على هذا أنه لو كان التقبيل يؤثر فى يد ماجد لبلغ من كثرة مقبلى يدك أن التقبيل الكثير يمحو براجم الأصابع . والمراد هنا براجم الأصابع لا الراجم ...

* وفى صفحة ١٨٥ ، ورد البيت الآتى من شعر ابن الرومى فى المديح مضبوطا بالشكل هكذا :

أزمانه بنداه الغمرُ أشتية
وإن غدت بجناه الحلوُ أصيافا

بضم الراء من لفظه «الغمر» والواو من لفظة «الحلو» ولا وجه لرفع الكلمتين ، وأنما هما مجرورتان لأن كلا منهما نعت لما قبلها ، فالغمرنعت لنداه وهى مجرورة بالباء والحلو نعت لجناه وهى مجرورة بالباء أيضا . وصواب البيت ان يضبط هكذا

أزمانه بنداه الغمرِ أشتية
وإن غدت بجناه الحلوِ أصيافا

* وفى صفحة ٢٢٧ ، ورد البيت الآتى من شعر ابن نباتة فى المديح هكذا :

يفوح فى الطرس من أمداحهم أرج
كأنما النقس فى طرس دخان كبا

ولا معنى لإضافة دخان إلى طرس ، فليس هناك (طرس دخان) حتى يضاف أحدهما إلى صاحبه . والصواب أن يضبط البيت بالشكل هكذا :

يفوح فى الطرس من أمداحهم أرج
كأنما النقس فى طرس دخانٌ كبا

أى كأن النقس — أو المداد — فى الطرس هو دخان عود الكباء . وقد قصر الشاعر لفظة كباء بدلا من مدها . وعلى هذا تكون لفظة : دخان ، مرفوعة لأنها خبر كأنما ، وليست مضافه إلى طرس .

* وفى صفحة ٢٨٦ أورد البيت الآتى من شعر أبى نواس هكذا :

كل اللباس عليها منظر حسن
وكلما تتغنى فهو مقترح

بوصل «ما» فى «كل» فى الشطر الثانى ، والصواب

وكل ما تتغنى فهو مقترح

أى كل الذى تتغنى به فهو مقترح . فما هنا اسم موصول بمعنى الذى .

وفى صفحة ٣٣٠ ، ورد البيت الآتى لأبى تمام فى الرثاء على هذه الصورة :

ألم تريا الأيام كيف فجعننا
به ، ثم قد شاركتنا فى المآتم

بإلحاق تاء التأنيث بالفعل : شاركتنا ، والصواب أنها نون النسوة العائدة على الأيام ، كنون النسوة فى الفعل الذى قبله : فجعننا .

* وفى صفحة ٢٩٠ ، ضبطت كلمة «يمنع» فى البيت الآتى بالضم هكذا :

ألمت بنا بعد الهدوء فسامحت
بوصل متى تطلبه فى الجد يمنع

والصواب ضبطها بالكسر ، لأن القافية كلها مكسورة ، بدليل البيت الذى بعده وهو :

وولت كأن الليل يخلج شخصها
أوان تولت من حشاى وأضلعى

* وفى صفحة ٤١٤ ، وردت هذه العبارة من نثر القاضى الفاضل هكذا :

(فدعونا من بعلبك الأعسر ، وشتائه العذاب الأكبر) : وهنا مأخذان : الأول لفظة فدعونا كأنها فعل ماض ، والصواب أنها فدعونا ، هى فعل أمر ، أى اتركونا واتركوا ذكر بعلبك : والمأخذ الثانى هو ضبط كلمة العذاب بالفتح ، والصواب كسرها لأنها صفة لكلمة شتاء وهى مجرورة .

وبعد : فهذا هو كتاب «مطلع الفوائد ومجمع الفرائد» للشاعر المصرى جمال الدين ابن نباتة، عرضناه وعرضنا طرفا من سيرة مؤلفه، كما عرضنا جهد المحقق الفاضل فيه . وهو جهد نرجو أن يبلغ التمام فى المقبل من الكتب .

وبالله التوفيق

محمد عبد الغنى حسن